الـــنــشـــرة

العدد ٢٠٢٠/٢٨

الأحد ١٢ تمّوز ٢٠٢٠

تذكارُ الشَّهيدَين بروكلُس وإيلاريوس والبارّبابيسيوس الآثوسيّ

اللَّحن الرابع

إنجيل السَّحَر الخامس

الرِّسالة

(رومية ١٠: ١-١٠)

يا إِخْوَةُ، إِنَّ بُغْيَةَ قَلبي وَابْتِهالي إِلى اللهِ هُما لِأَجْلِ إِسْرائيلَ لِخَلاصِه. فَإِنّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ فيهِم غَيْرَةً للهِ، إِلاَّ أَنَّها لَيْسَتْ عَنْ مَعْرِفَةٍ، لأَنَّهُمْ إِذْ كانوا يَجْهَلونَ بِرَّ اللهِ وَيَطْلُبونَ أَنْ يُقيموا بِرَّ أَنْفُسِهِم، لَمْ يَخْضَعوا لِبِرِّ اللهِ. إِنَّما غايَةُ النَّاموسِ هِيَ المَسيحُ لِلبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِن. فَإِنَّ موسى يَصِفُ البِرَّ الَّذي مِنَ النَّاموسِ بِأَنَّ الإِنْسانَ الَّذي يَعْمَلُ هَذِهِ الأَشْياءَ سَيَحْيا فيها، أَمَّا البِرُّ الَّذي مِنَ الإيمانِ فَهَكَذا يَقُولُ فيهِ: «لا تَقُلْ في قَلْبِكَ مَنْ يَصْعَدُ إِلى السَّماءِ، أَيْ لِيُنْزِلَ المَسيحَ، أَو مَنْ يَهْبِطُ إِلى الهاوِيَةِ، أَيْ لِيُصْعِدَ المَسيحَ مِنْ بَيْنِ الأَمواتِ». لَكِنْ ماذا يَقولُ؟ «إِنَّ الكَلِمَةَ قَريبَةٌ مِنْكَ في فَمِكَ، وفي قَلْبِكَ»، أَيْ كَلِمَةَ الإِيمانِ الَّتي نُبَشِّرُ نَحْنُ بِها، لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسوعَ، وآمَنْتَ بقلبِكَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَقامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْواتِ فَإِنَّكَ تَخْلُصُ، لأَنَّهُ بِالقَلْبِ يُؤْمَنُ لِلبِرِّ، وبِالفَمِ يُعْتَرَفُ لِلخَلاص.

الإنجيل

(متّى ٨: ٢٨-٣٤؛ ٩: ١)

في ذَلِكَ الزَّمانِ، لَمَّا أَتى يَسوعُ إِلى كُورَةِ الجُرْجُسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنونانِ خارجانِ مِنَ القُبورِ شَرِسانِ جِدًّا، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتازَ مِنْ تِلْكَ الطَّريق، فَصاحا قائِلَيْنِ: «ما لَنا ولَكَ يا يَسوعُ ابْنَ اللهِ؟ أَجِئْتَ إِلى هَهُنا قَبْلَ الزَّمانِ لِتُعَذِّبَنا؟». وكان بَعيدًا مِنْهُمْ قَطيعُ خَنازيرَ كَثيرَةٍ تَرعَى، فَأَخَذَ الشَّياطِينُ يَطْلُبونَ إِلَيْهِ قائِلينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنا فَائْذَنْ لَنا أَنْ نَذْهَبَ إِلى قَطيعِ الخَنازير»، فَقالَ لَهُم: «اذْهَبوا». فَخَرجوا وذَهَبوا إِلى قَطيعِ الخَنازيرِ، فَإِذا بِالقَطيعِ كُلِّهِ قَدْ وَثَبَ عَنِ الجُرْفِ إِلى البَحْرِ وماتَ في المِياهِ، أَمَّا الرُّعاةُ فَهَرَبوا ومَضَوا إِلى المَدِينَةِ وأَخْبَروا بِكُلِّ شَيْءٍ وبِأَمْرِ المَجْنُونَين. فَخَرَجَتِ المَدينَةُ كُلُّها لِلِقاءِ يَسوعَ، ولَمَّا رَأَوْهُ طَلَبوا إِلَيْهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْ تُخُومِهِم، فَدَخَلَ السَّفينَةَ وَاجْتازَ إِلى مَدِينَتِهِ.

البِرّ

يتحدَّث بولس الرسول في (رو ١٠: ١-١٠)، عن «بِرّ الناموس» و«بِرّ الإيمان»، مركِّزًا على أنّ الهدف هو المسيح، الذي وصل إلى اليهود والأمميّين، على حدٍّ سواء، من خلال البشارة بالخلاص، وكان الإيمانُ هو الجواب على هذه البشارة. ترد كلمة

«بِرّ» ومشتقّاتها (برّر، يتبرّر، التبرير...) ٥٤ مرّة في الرسالة إلى أهل رومية، وهذا يدلّ على أهمّيّتها وأهمّيّة الموضوع المرتبط بها. لذلك، أوّلًا، علينا إظهار معناها عمومًا، ومعناها الكتابيّ خصوصًا.

قاموسيًّا، تعني كلمة «برّ»: الخير، الإحسان، الطاعة والعدل. المعنى المناسب للعبارة اليونانيّة التي يستخدمها الرسول بولس هو «العدل»، تاليًا هي ترتبط بالقضاء. نقول إنّ القاضي «يبرّر» المتّهم، أي يعلن براءته، فيُعلَنُ المتّهم بارًّا. إذًا، البارُّ هو الذي يظهر أنّه طبّقَ القانون عندما يُحاكَم بتهمةِ مخالفته. كذلك، في الكتاب المقدّس، يرتبط البرّ بحكم الله على شعبه، والمعيار هو طاعة وصايا الله والعمل بها. إلّا أنّ البرّ مرتبط أيضًا بالإيمان بخالِقِ الإنسان وداعيه إلى الحياة معه، الّذي يغدق عليه بركاته إذا أطاعه وسلك وفق وصاياه. يظهر هذا في قصّة الخلق: عندما غرس الله جنّة عدن، وأنبت شجرة الحياة في وسط الجنّة وشجرة معرفة الخير والشرّ، جعل الله آدم في الجنّة ليعمَلها ويحفظها، وأعطاه وصيّة قائلًا: «من جميع شجر الجنّة تأكل أكلًا، وأمّا من شجرة الخير والشرّ فلا تأكل منها، لأنّك يوم تأكل منها موتًا تموت» (تك٢: ٨-١٧). كان آدم يستطيع أن يأكل من شجرة الحياة، بشرط حفظ الوصيّة، إلّا أنّه لم يفعل وأكل من شجرة المعرفة. عندما وقف آدم أمام الله للمحاكمة، برّر نفسه ملقيًا باللّوم على امرأته، فصدر الحكم بحرمانه من تذوّق شجرة الحياة، أي حُرم من الحياة.

ندرك من قصّة الخلق وغيرها في الكتاب المقدّس، لماذا لم يستطع الإنسان الوصول إلى البرّ. إعتقد أنّه يستطيع بلوغه من دون الله، وضع نفسه مكان الله، مبرّرًا ذاتَه وحاكمًا على الآخرين. فَقَدَ الإنسان بوصَلَتَه، وبدل توجيه ناظريه إلى خالقه وإلقاء نفسه في أحضانه، نظر إلى نفسه بإعجابٍ، ظانًّا أنَّ بإمكانه العيش بعيدًا عن الله، فجعل نفسه، بدلًا من الله، مركزًا للكون.

الله لا يترك خليقته، وهذا ما نتعلّمه في الكتاب المقدّس. أرسل الأنبياء والمعلّمين، ووضع للإنسان شريعةً يمكنه النشوء عليها، علّه يجد طريق العودة. كان على الإنسان أن يعود إلى أحضان الله خالقه، الّذي سيتكفّل بالباقي: «لأنّي أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد» (إر ٣١: ٣٤). يقتضي هذا إيمانًا، وثقة بالله، وطاعةً، على مثال إبراهيم الذي، اتّكل على الله وترك أرضه وعشيرته وتبع الله، لكنّه شكّ في الطريق، وعندما عادت ثقته الكلّيّة بالله، حُسب له ذلك برًّا (تك ١٥: ٦؛ رو ٤: ٣).

أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم، بعدما كشف لنا صورتَه بواسطة الأنبياء. أظهر لنا الابن كيف يقدر الإنسان أن يعود إلى الله خالقه، من خلال طاعة الآب السماويّ حتّى الموت، موت الصليب. حمل خطايا الإنسان على عاتقه: «هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويتسامى جدًّا... نبت قدّامه كفرخٍ وكعِرقٍ من أرضٍ يابسة، لا صورة له ولا جمال... محتقر ومخذول من الناس... لكنّ أحزانَنا حملها وأوجاعَنا تحمّلها ونحن حسبناه مصابًا مضروبًا من الله ومذلولًا، وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا... أمّا الربّ فسُرَّ أن يسحقه بالحزن، أن يجعل نفسه ذبيحةَ إثم، يرى

نسلًا تطول أيّامه، ومسرّة الله بيده تنجح. مِن تعبِ نفسه يرى ويشبع، وعبدي البارّ بمعرفته يبرّر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسِمُ له بين الأعزّاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنّه سكب للموت نفسه وأُحصي مع آثمةٍ، وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين» (إش ٥٢: ١٣؛ ٥٣: ٢-١٢). لم يكن سبب إرسال الله ابنَه الوحيد ليبذل نفسه من أجل الإنسان، صلاحَ هذا الإنسان، بل كان نعمةً، هبةً منه بسبب محبّته، لأنّه يشاء الكلّ أن يخلصوا وإلى معرفة الحقّ يقبلوا (١تي ٢: ٤): «لأنّ المسيح إذ كنا بعدُ ضعفاء مات في الوقت المعيّن لأجل الفجّار. فإنّه بالجهد يموت أحد لأجل بارٍّ، ربّما لأجل الصالح يجسر أحدٌ أيضًا أن يموت. ولكنّ الله بيّن محبّته لنا، لأنّه ونحن بعدُ خطأةٌ مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٦-٨). بموت المسيح على الصليب، أظهر لنا الله صورة البارّ بامتياز، وهو العبد المتألّم: «وأظلمت الشمس وانشقّ حجاب الهيكل من وسطه. ونادى يسوع بصوتٍ عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي. ولمّا قال هذا أسلم الروح. فلمّا رأى قائد المئة ما كان مجّد الله قائلًا: بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًّا» (لو ٢٣: ٤٥-٤٧).

يستعيد الإنسان موقعه في أحضان الله، بالسير على خطى المسيح فقط، فيرتشف من مياهه المحيية (يو ٤: ١٤)، يتطلّب هذا قبولًا للمسيح كمخلّصٍ للعالم، وتجديدًا للثقة بالله: هذا هو الإيمان. لهذا يقول الرسول بولس: «لأنّ غاية الناموس هي المسيح للبرّ لكلّ من يؤمن» (رو ١٠: ٤). يصدر الإيمان من القلب، حيث يكتب الله شريعته ليعيد الإنسان إليه: «هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيّام، يقول الربّ، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا. ولا يعلّمون بعد كلّ واحد صاحبه وكلّ واحد أخاه قائلين: اعرفوا الربّ. لأنّهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الربّ. لأنّي أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد» (إر ٣١: ٣٣-٣٤). هكذا، على الإنسان ألّا يبحث عن الربّ يسوع في أماكن لا يمكنه الوصول إليها. الربّ يسوع يصل إلى الإنسان عبر البشارة، الكلمة الإلهيّة، الكتاب المقدّس: «وأمّا البرّ الذي بالإيمان فيقول هكذا: لا تقل في قلبك مَن يصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية أي ليُصعد المسيح من الأموات. لكن ما يقول: الكلمة قريبةٌ منك في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها» (رو ١٠: ٦-٨).

إيمان الإنسان مرتبطٌ باعترافه بأنّ يسوع المسيح سيّده الوحيد. إنّه الربّ، وليس الإمبراطور أو الملك أو الرئيس أو أيّ صاحب سلطة. على أساس هذا الإعتراف، يَقبَلُ الإنسانُ الربَّ يسوع مخلِّصًا، ويترجّى الخلاص في اليوم الأخير: «لأنّك إن اعترفت بفمك بالربّ يسوع وآمنت بقلبك أنّ الله أقامه من الأموات خلصتَ (سوف تخلص)» (رو ١٠: ٩).

القدّيس بايسيوس الآثوسيّ

وُلِدَ القدّيس بايسيوس في قرية تدعى «فارسا» في مقاطعة كبّادوكية، خلال المرحلة

التاريخيّة الدقيقة التي أُفرِغَت فيها آسيا الصغرى من سكانها الأصليّين عبر طرد أهل المنطقة الأرثوذكسيّين إلى اليونان. عاش في تلك القرية كاهن بارّ عجائبيّ هو القدّيس أرسانيوس الكبادوكيّ (١٠ تشرين الثاني)، الذي أوصى أبناء رعيّته عام ١٩٢٢ أن يدّخروا كلّ ما أمكنهم من مدخول وزاد «إستعدادًا للخروج الكبير». جمع أطفال القرية المولودين حديثًا وعمَّدَهم جميعًا قبل النكبة التي أنبأ بحصولها، والتي كانت، بلا شكّ، إحدى أكبر عمليّات الإبعاد القسريّ الجماعيّ في القرن العشرين، وقد كانت أحد أركان التغييرات الديموغرافيّة الكبرى في عصرنا.

كان القدّيس باييسيوس، واسمه العالميّ أرسانيوس إيزنيبيديس، أحد الأطفال الّذين عمّدهم القدّيس أرسانيوس الكبادوكيّ قبل النزوح. أصرّ القدّيس على إعطاء الطفل، في المعموديّة، اسمَه أرسانيوس قائلًا: «لكي يصير راهبًا مثلي». لقد شاهد بعين الروح ما سيبلغه هذا الصبيّ من سموّ روحيّ.

عاش القدّيس بايسيوس في غربة منذ نعومة أظفاره. نشأ في عائلة ورعة أقامت، بعد التهجير، في جزيرة «كورفو»، قبل أن تستقرّ في منطقة «كونيتسا». تميّزت أسرته بتقاها وحبّها للصوم والحشمة والصلاة، وتزيّنت بشهامة أهل آسيا الصغرى وفضائل تلك الناحية من مروءةٍ وكرمٍ وإقدامٍ وشجاعة. كان لها أبعد التأثير في بناء شخصيّته والنقاوة الكاملة التي اتّصفت بها نفسه المحبّة للمسيح. اضطرّ بعد الصفوف الابتدائيّة أن يغادر المدرسة لكي يساعد والده في إعالة الأسرة. عمل نجّارًا، فأتقن حرفته، وتذوّق عذوبة العطاء «الذي هو مغبوط أكثر من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥).

إلتصق بقراءة الإنجيل والأسفار المقدّسة، وكان يحبّ الإختلاء في البرّيّة حيث يطالع سير القدّيسين، فسعى إلى الاقتداء بنسّاك الكنيسة وأبرارها. كان القدّيس، في سنّ الثالثة عشرة، حين تضجّر شقيقه من تديّنه هذا، وطلب من ابن عمّه التدخّل لتغيير قناعاته. شرح له نظريّة «داروين» بأسلوب يزعزع ما في نفسه الفتيّة من إيمان. إضطربت نفس الصبيّ لسماعها إذ لم تكن مهيّأة للأفكار الإلحاديّة. أمام تجربة الإيمان الكبرى، قرّر الإختلاء في الغابة لثلاثة أيّام صائمًا ومصلِّيًا حتّى يكشف له الله حقيقة وجوده. إنطلق إلى عمق الغابة وامتنع عن الأكل والشرب، وراح يصلّي ويتضرّع بحرارة إلى الرّبّ لكي يفتقده بإشارة سماويّة. قسوة الخبرة أجهدت قواه، واستنزفته بالكامل، فسقط في اليوم الثالث في ظلمة اليأس. إنطرح أرضًا غير قادر على الحراك فقال في نفسه: «حتّى ولو كان المسيح مجرّد إنسانٍ، فهو صالحٌ وطيّب ومحبٌّ ويستحقّ أن أصوم وأصلّي وأقرأ الكتاب المقدّس من أجل محبّته!»؛ حينئذٍ، شاهد في الغابة المظلمة نورًا أبهى من الشمس، وفي وسط النور عاين المسيح واقفًا وفاتحًا الإنجيل وقائلًا له: «أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بي وإن مات فسيحيا، ومَن كان حيًّا وآمن بي فلن يموت» (يو ١١: ٢٥-٢٦). أفعم هذا الظهور الإلهيّ نفسَ الصبيّ فرحًا وشجاعة وقوّةً، وملأه بنعمة الروح القدس الّذي بات مرشدًا ومثبّتًا له في طريق الربّ طيلة حياته.

خدم وطنه في الجنديّة، زمنَ الحرب الأهليّة في اليونان، فكان مثال التضحية واحتمال المشقّات وتعريض نفسه للخطر لحماية أرباب العائلات من زملائه في الجيش. حمته السيّدة العذراء من كلّ أذى في الظروف الحالكة. فأقام في ديرها الخَرِب في منطقة «كونيتسا»، وعمل على ترميمه لكي يقدّم لها الشكر بالصلاة والعمل «كمنقذةٍ من الشدائد». بعد إنجاز مهمّته، قصد دير القدّيسة كاترينا في جبل سيناء، حيث أقام في الوحدة والعزلة الكاملتَين في منسك القدّيسَين غلكتيون وإيبيستيمي، ثمّ انتقل من هناك للاستقرار بشكل نهائيّ في «بستان والدة الإله»، الجبل المقدّس، آثوس.

تردّد، كالأيّل الظامئ إلى ينابيع الآباء المختبرين في الأديرة والمناسك، طالبًا الإرشاد الروحيّ وحياة الطاعة والخدمة والسَّكينة. لقي رهبانًا بلغوا «ملء قامة المسيح» (أف ٤: ١٣)، فاقتدى بمثلهم الصالح وتعلّم منهم أصول الحياة الرهبانيّة. كان أبرز شيوخه الأب تيخن، الناسك الروسيّ المتألّه العزم، الذي ترك له منسكه، قلّاية الصليب الكريم التابعة لدير «ستافرونيكيتا»، ليتابع فيها مسيرة الجهاد النسكيّ والصلاة في الهدوء. أحبّ الحياة الهدوئيّة. صلّى إلى الربّ طالبًا مشيئته فوق كلّ شيء، فسمع صوت المخلّص قائلًا: «عزّوا! عزّوا شعبي!» (إش ٤٠: ١). أطاع الله وانتقل للاستقرار في قلّاية ميلاد السيّدة «الباناغوذا» على مقربة من «كاريس» عاصمة الجبل المقدّس، حيث بات منسكه محجًّا لمئات المؤمنين.

كان الشيخ بايسيوس إناءً مختارًا للروح القدس. جذب مريدين كُثرًا إلى السيرة الرهبانيّة، وثبّت عددًا كبيرًا من الأُسَر، كما أعان زائريه التائبين والمحتاجين إلى صلاة وسند روحيّ، حتّى ذاع صيته وبات الأب الروحيّ الذي يقصده الناس من أقاصي المسكونة. تميّز بصفاءٍ فكريّ ووضوح وحكمة نادرة النظير، وببصيرة روحيّة نبويّة. أمّا سمته الفريدة فكانت روح التَّعزية. كان قادرًا على تعزية منكسري القلوب وانتشال كلّ مَن يقصده من عمق اليأس بمهارة لا يملكها سوى القدّيسون الكبار. لم يمضِ أحدٌ خائبًا من عنده، مهما كان حجم مشكلته أو جرحه النفسيّ. وحدهم المتكبّرون كانوا يخرجون من قلّايته غير مرتاحين.

شفى المرضى، طرد الشياطين، فتح بيمينِ العليّ أعينَ العميان. كان منارةً موضوعةً على جبل، منيرةً درب الكنيسة في بنيان أبنائها وتزويدهم بكلّ نعمةٍ وصلاح وفضيلة. كان يقضي ليله بالصلاة والتضرّع من أجل المحتاجين من أحياء وراقدين، فأضحى شفيعًا للكنيسة ولكلّ الملتجئين إليه بإيمان.

رقد قدّيسنا بعد صبر كبير على ألمٍ مبرّحٍ من مرض السرطان في الأمعاء في ١٢ تمّوز ١٩٩٤. كانت سيرته صورةً حقيقيّة للتضحية والبذل، ومرآةً للإنسانيّة المفتداة، تعكس بصفاءٍ نور الثالوث القدّوس الذي يبدّد كلّ ظلمة في حياتنا.

---

www.facebook.com/metbei